



عكا بين منارة التاريخ وظلام العنصرية

د. سامي معاري

كلما حضرت عكا في المشهد وهي التي لا تغيب، نستذكر لوحة حضارية عامرة بالحياة والمجد والتاريخ العريق، والجنود الضارية في عمق الزمان والمكان.

عكا التي تكسرت على شواطئها أمواج الغزو والاستعمار وتحطمت على أسوارها أسطورة نابليون بصمود أهلها الأسطوري وقيادة الشيخ أحمد باشا الجزائر.

وما زالت عكا في مقدمة الصامدين ضد الاقتلاع والتهويد واجتثاث الهوية، وما زالت تقاوم الإقصاء والاستهداف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والحضاري.

خمسة عشر ألف مواطن عربي فلسطيني في عكا يقعون في بيوت قديمة محاصرة من حيث أسباب العيش والبقاء وكأنها مناطق إفريقية، يرزحون تحت تأثير نسبة فقر عالية، وبطالة مستشرية بين الشباب والفتيات وهذا الواقع له تأثيراته السلبية على سلوك شباب المجتمع وميلهم باتجاه العنف.

في عكا الأمور قاتمة الظلام: لأن بلدية عكا تمثل أنموذجاً بانساً للعنصرية البغيضة والتمييز البغيض ففي الأعياد الإسلامية والمسيحية يتوافد آلاف من العائلات العربية من شتى المناطق في الوسط العربي وحتى من أهلنا في القدس والضفة الغربية إلى هذه المدينة التي تمثل بقعة وجدانية في ضمير كل من أبناء شعبنا...

وهذا التوافد ينشط فيها الحركة التجارية وينعشها اقتصادياً وعكا في الأصل ذات مكانة اقتصادية مرموقة فقد كانت مركزاً تجارياً للقرى العربية المجاورة حيث يجدون فيها كل احتياجاتهم من الرغيف حتى صرف الشيك البنكي ولكن عكا اليوم ترزح تحت تأثيراً سياسة البلدية والشرطة التي بدل من أن تستفيد من الحركة التجارية النشطة التي يحدثها الزائرون العرب في الأعياد تجد البلدية والشرطة تسهمان في عرقلة مجيء المواطنين العرب إلى عكا، من خلال سماحها بانتشار الفوضى في العيد وتكدس المعيقات التي تنغص على الزائرين وجودهم فيها.

وليس من دليل على عنصرية البلدية وسياسة شرطة عكا من الطريقة العنصرية التي تجلت في تمييزها بين الأعياد المتزامنة في الأيام الأخيرة.

لقد تزامن انتهاء عيد الأضحى المبارك مع دخول عيد العرش اليهودي وعلى الفور، وبقدرة قادر باشرت بلدية ومركز شرطتها بتنظيم حركة السير وتنظيف البلد وشوارعها وأحيائها ومناطقها .

إن عكا التي تدير بلديتها إدارة يهودية وينعدم فيها تمثيل عربي رسمي يتمشى ونسبة السكان العرب تعاني من سياسة ممنهجة أكثر جِدّة من مناطق عربية أُخرى بهدف ترحيل السكان وإجبارهم على الإخلاء والمغادرة تحت تأثير التهميش والإقصاء والعنصرية.

إن هذا كله لن يفلح أبداً فمثلما كانت عكا وشعبها عصيّة على الاقتلاع والهزيمة في أفسى مراحل التاريخ فسوف تكون كذلك الآن وغداً.